المحاضرة الرابعة: مأسسة الصحافة الاستقصائية

سميت السنوات التي اعقبت فضيحة ووترغيت بـ (عصر ما بعد ووترغيت)، فقد أولت وسائل الاعلام في الكثير من بلدان العالم اهتماماً متزايداً بالصحافة الاستقصائية التي اكتسبت ثقة أكبر من قبل الجمهور، وتزايد اهتمام القراء بالأعمال الاستقصائية الكاشفة عن الفساد والانتهاكات.

وخلال العقد السبعيني، تأسست مجموعة مهمة من المراكز المتخصصة بالصحافة الاستقصائية، كان من أبرزها اتحاد المراسلين والمحررين الاستقصائيين (IRE) الذي تأسس عام ١٩٧٥.

وأطلق مع نهاية عام ١٩٧٦ حملة واسعة لتعقب نشاطات الجريمة المنظمة شارك فيها ٣٨ صحفيا من ٢٨ وسيلة اعلام أمريكية، وكانت هذه الحملة التي سلطت الضوء على نشاطات المافيا وساهمت في تقديم لوائح الاتهام في العديد من قضايا الفساد، هي الرد الذي واجه به الصحفيون الاستقصائيون هذه المافيات بعد قتلها المحقق صحفي كان يتعقب نشاطاتها في ولاية اريزونا الأمريكية عن طريق وضع قنبلة في سيارته.

وبدءاً من أواخر ثمانينات القرن العشرين، وتزامنا مع سقوط جدار برلين والتغييرات التي شهدتها بلدان أوربا الشرقية، مدت الصحافة الإستقصائية جذورها في اوروبا الشرقية وآسيا وأمريكا اللاتينية وافريقيا، فقد كشف الصحفيون الإستقصائيون في الكثير من بلدان العالم من قضايا فساد كبرى ونشاطات اجرامية وسوء استخدام للسلطة وتكسب غير مشروع على حساب الصالح العام، فضلا عن تلقي رؤساء ومسؤولين كبار للرشاوي ".

الصحافة الاستقصائية في العالم العربي

دخلت الصحافة الاستقصائية الممنهجة الى العالم العربي في وقت متأخر، قياسا الى باقي بلدان العالم، إذ عادة ما ينشأ هذا النوع من الصحافة في ظل ديمقراطيات يمكنها أن توفر الحماية الكافية للصحفيين لأداء واجبهم في تعقب الفساد وكشف الممارسات الخاطئة للحكومات والشركات والافراد الفاسدين، وهو ما لم يكن متاحا في بلدان العالم العربي التي كان معظمها يعاني سطوة الأنظمة الشمولية، ويفتقد الى البيئة التشريعية المناسبة في عمال حرية الصحافة.

برغم ذلك، يرى الباحثون أن هناك بعض التجارب الاستقصائية العربية المبكرة التي يمكن تأشيرها على انها بواكير للصحافة الاستقصائية العربية، وأبرزها التحقيق الذي انجزه الصحفي والروائي (إحسان عبد القدوس) عام ١٩٤٩ وفجر من خلاله ما يعرف بـ (فضيحة الأسلحة

الفاسدة) التي تم تزويد الجيش المصري بها في حرب عام ١٩٤٨. وعد المؤرخون هذه الفضيحة فيما بعد، من الاسباب الرئيسة لتأسيس تنظيم الضباط الأحرار المصري الذي قام بإسقاط النظام الملكي واقامة النظام الجمهوري في تموز يوليو عام ١٩٥٢.

لكن بالقياس على النمط الممنهج للصحافة الاستقصائية الذي مارسته الصحافة العالمية خلال الثلث الاخير من القرن العشرين، يمكن القول أن أول تجربة استقصائية ممنهجة ومبنية على الأسس العالمية في التحري والتحقق من المعلومات ومواجهة المتسببين، ولدت مع انطلاق **شبكة اعلاميون من اجل صحافة استقصائية عربية أريج (IRII)**، التي تأسست في العاصمة الأردنية عمان عام ٢٠٠٥ ، ونشطت في تسع دول عربية هي: **(العراق والأردن وسوريا وفلسطين ولبنان ومصر وتونس والبحرين واليمن).**

وجاء تأسيس شبكة أريج بهدف: تأمين الدعم للصحفيين الاستقصائيين العرب ومساعدتهم في انجاز تحقيقات استقصائية معمقة تمس واقع مجتمعاتهم وتكشف الانتهاكات القائمة، ونجحت الشبكة خلال اقل من عشر سنوات من عمرها، في انجاز ومتابعة أكثر من ٣٠٠ تحقيق استقصائي مكتوب أو مرئي أو مسموع، تناولت مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية في العالم العربي.

ورسخت شبكة (أريج) من خلال نشاطاتها السنوية التجربة الاستقصائية العربية على نطاق واسع، إذ دربت نحو ١٥٠٠ صحفي في المنطقة العربية، وأقامت منذ عام ٢٠٠٨ وحتى عام ٢٠١٤ سبعة مؤتمرات دولية للصحافة الاستقصائية تضمن كل منها نحو ٣٠ ورشة عمل متخصصة كان يحاضر فيها كبار الصحفيين الاستقصائيين في العالم.

مأسسة الصحافة الاستقصائية في العراق

في عام ٢٠١٠، عقدت **وكالة أنباء اصوات العراق** أول مذكرة تفاهم عراقية مع شبكة أريج العربية، وكانت تنص على ايجاز عدد من التحقيقات الاستقصائية في مجالات الفساد والانتهاكات وسوء الإدارة.

بالاستفادة من الخبرات التي وفرتها شبكة اريج للصحفيين العراقيين، تأسست في العراق شبكتان متخصصتان بالصحافة الاستقصائية، هما شبكة اعلاميون عراقيون من أجل صحافة استقصائية (نيريج) التي تأسست عام ٢٠١١، وشبكة الصحافة الاستقصائية العراقية (تقصي) التي تأسست في ايار ٢٠١٤.

وقياسا على حداثة التجربة العراقية في مجال الصحافة الاستقصائية الممنهجة، كان من اللافت ان يحوز الصحفيون الاستقصائيون العراقيون على سلسلة من الجوائز العربية والعالمية المتقدمة ما بين عامي ٢٠١٠- ٢٠١٣.

ويشير هذا المنجز الاستقصائي العراقي الذي تحقق خلال السنوات القليلة الماضية، وما سبقه من منجز استقصائي أنجز في ظروف غاية في الصعوبة، الى وجود قدرات ومؤهلات استقصائية كبيرة تؤهل الصحفيين العراقيين لولوح هذه التجربة بقوة، لا سيما في ظل حاجة العراق الى ترسيخ ثقافة استقصائية منهجية، وانجاز اعمال استقصائية كاشفة تساهم في الحد من أية مظاهر للفساد أو الانتهاكات المجتمعية ترافق تجربته الديمقراطية الناشئة.

أدوار وأهمية الصحافة الاستقصائية

يجمع المعنيون بالصحافة الاستقصائية على أن المهمة الأساسية لهذا النوع من الصحافة، هي كشف الفساد وفضح الظلم والانتهاكات ولفت الانتباه إلى أوجه القصور الكامنة في السياسات العامة التي تؤثر في الجمهور، فضلا عن فضلا عن التحقق من ملائمة القوانين والانظمة السائدة لحاجات ومصالح المجتمع، ودفع المؤسسات الى تحقيق المصلحة العامة وعدم اساءة استخدام السلطة، ويلخص الاستقصائي السويدي نيلز هانسون الأهداف الرئيسة للصحافة الاستقصائية بثلاث. نقاط جوهرية، هي:

١. كشف الانتهاكات التي يقوم بها افراد أو مؤسسات رسمية أو مدنية أو شركات للقوانين أو القواعد أو المعايير الاخلاقية.
٢. تقويم أداء الحكومات والشركات والمنظمات وأصحاب النفوذ.
٣. لفت الانتباه إلى المتغيرات التي تشهدها المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في المجتمعات.

وكنموذج لما يمكن أن تؤديه الصحافة الاستقصائية في كشف الانتهاكات وسوء استخدام السلطة، فقد أنجز صحفيون شجعان في العديد من بلدان العالم، تحقيقات كاشفة فضحت الكثير من المفاسد والانتهاكات وعرضت المسؤولين عنها الى المساءلة أمام القانون والجمهور على حد سواء.

إذ تمكنت الاستقصائية **شيلا كورنويل** وفريق المركز الفلبيني للصحافة الاستقصائية من تعقب ثروة الرئيس الفلبيني جوزيف استرادا، واثبات أنه جمع ثروات طائلة واشترى منازل فاخرة عبر تلقيه عمولات ضخمة من عشرات الشركات العاملة في بلاده، وهو ما تسبب في اثارة الرأي العام الفلبيني وتقديم استرادا الى القضاء واقالته لاحقا من منصب الرئيس ٣٤.

وفي ولاية بارانا البرازيلية، أمضى صحفيون من جريدة جازيا بوفو وتلفزيون RPC نحو عامين في بناء قاعدة بيانات مكنتهم من فضح الطريقة الممنهجة التي كان يعتمدها المجلس التشريعي السرقة ما قيمته ٤٠٠ مليون دولار من الأموال العامة، ونجحت سلسلة التحقيقات التي نشرت حول الموضوع في اثارة غضب شعبي عارم ونزول أكثر من ٣٠ الف شخص الى الشوارع للاحتجاج على هذه الممارسات والمطالبة بمكافحة الفساد، وهو ما أدى لاحقا الى فتح أكثر من ٢٠ تحقيقا رسميا حول القضية ٣٥.

وفي عام ٢٠٠٧ ، تعقب صحفيون من مركز البوسنة للصحافة الاستقصائية، التقارير والسجلات العامة بحثا عن أدلة تثبت تلقي رئيس وزراء البوسنة والهرسك نيدزاد برانكوفيتش للرشاوى على خلفية صفقة خصخصة مشكوك فيها، واثارت الحقائق التي كشفها الصحفيون البوسنيون احتجاجات عامة قادت الى محاكمة برانكوفيتش، ثم لاحقا، استقالته من منصبه ٣٦.

وفي عام ٢٠٠٣ ، ساهمت القناة التلفزيونية الجورجية روستافي ٢ من خلال تقاريرها إبان ما يعرف بالثورة الوردية في جورجيا، في اثارة الرأي العام ضد الرئيس إدوارد شيفار نادرة الذي كان متهما بتزوير الانتخابات لصالحه، وهو ما أسفر عن استقالته من منصبه لاحقا ٣٧.

وبين عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٤ ، نجح صحفيون من كوستاريكا في اثبات حقائق تتعلق بتلقي عدد من الرؤساء السابقين ملايين الدولارات كرشاوى من قبل الشركات المحلية والأجنبية العاملة في البلاد.

وتمثل هذه الاعمال الاستقصائية المعروفة، ومعها الكثير من التحقيقات التي انجزت عبر العديد من دول العالم، دليلا على أهمية الصحافة الاستقصائية في مراقبة الممارسات الخاطئة وتشخيص الخلل في النظام وتقديم المتورطين للمحاكمات أو الاطاحة بهم من مناصبهم.

.